أعمال موجهة مادة: بيبليوغرافيا النقد الأدبي القديم

الحصة الثامنة: كتاب تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس

ولد في قرية عين غزال بفلسطين عام 1920 م، وتعلم حتى تخرج من الكلية العربية في القدس عام 1941 م، ثم واصل تعليمه العالي حتى نال الدكتوراه من كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1954 م. وقد بدأ تدريسه الجامعي في كلية غوردن التذكارية في السودان، ثم جامعة الخرطوم، ثم انتدب للتدريس في الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1961 م، وشغل فيها منصب رئيس دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، ومدير مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط، ورئيس تحرير مجلة الأبحاث، وهو عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العلمي الهندي (عن فلسطين) وقضى آخر أيامه أستاذا في الجامعة الأردنية بعمان.

وفي عام 1400 هـ/1980 م نال بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي (بالاشتراك) ، وكان موضوع الجائزة "الدراسات التي تناولت الشعر العربي المعاصر" . ومن أهم آثاره في مجال خدمة التراث العربي: إعادة نشر "وفيات الأعيان" لابن خلكان في ثمانية أجزاء (1968 – 1972) , و "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" للمقري التلمساني (1968) في ثمانية أجزاء أيضاً, و "الذخيرة في محاسن أشعار أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني (1974 – 1979) في ثمانية أجزاء أيضاً, و "التذكرة الحمدونية" لابن حمدون (بالاشتراك مع شقيقه بكر) (1 – 8, 1987) , و "رسائل ابن حزم الأندلسي" (1 – 4, 1980 – 1983) , و "الجليس الصالح الكافي" للمعافى بن زكريا النهرواني (1 – 3, 1987) , و "معجم الأدباء" لياقوت الحموي (1993, في سبعة أجزاء) , وأخيراً كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني في خمسة وعشرين جزءاً بالاشتراك مع إبراهيم السعافين وبكر عباس (2002).

يعتر إحسان عباس عميد المحققين العرب لمدة 60 عامًا، ألف كتبًا في النقد الأدبي وترجم العديد من روائع الأدب العالمي.

ومما شارك في نشره قديما" :خريدة القصر "للعماد الأصفهاني) بالاشتراك مع أستاذيه أحمد أمين وشوقي ضيف , (و" فصل المقال في شرح كتاب الأمثال) "بالاشتراك مع عبد المجيد عابدين , (و" جوامع السيرة "لابن حزم الأندلسي) بالاشتراك مع ناصر الدين الأسد . (وكانت وفاته يوم الثلاثاء 29 / يوليو/ 2003 م.

وصف الكتاب

المؤلف:إحسان عباس، الكتاب:تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ويقع في مجلد واحد عدد الصفحات: 657 صفحة. طبع دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1391هـ -1971. الطبعة الثانية: 1398- 1978.الطبعة الثالثة: 1401هـ-1981. الطبعة الرابعة: 1404هـ-1983.

الهدف من تأليف الكتاب

حاول الكاتب في هذه الدراسة تقديم صورة عن النقد الأدبي منذ أواخر القرن الثاني الهجري، حتى القرن الثامن أو بالأحرى من الفترة الممتدة بين الأصمعي و ابن خلدون في مشرق العالم الإسلامي ممغربه[1].

منهج الكتاب

اتبع الكاتب المنهج الزمني (التاريخي) لأنه يعين على تمثل النقط في صورة حركة متطورة، بين مد وجزر، أو ارتفاع وهبوط واقفا على القضايا الكبرى معرضا عن جزئيات الأمور. وقد عمل الكاتب على استقصاء المصادر المطبوع منها والمخطوط، ولم يقصر الرؤيا على من عرفوا بالنقد التطبيقي مثل الآمدي والقاضي الجرجاني وابن كثير. بل درس من كان لهم نشاط نظري في النقد مثل الفارابي وابن سينا وابن خلدون[2].

وكان همه إيجاد الأسس النظرية الفكرية التي كانت توجه النقد لدى النقاد، وقد استغرق هذا الجهد من الكاتب ست سنوات.

مضمون الكتاب

اشتمل كتاب تاريخ النقد الأدبي عند العرب على تحليل ودراسة الحالة الشعرية في القرن الثاني الهجري وحتّى القرن الثامن الهجري فعمل على نقد هذه الأشعار وتحليلها أدبياً، وفيما يأتي تلخيص لموضوعات الكتاب:

النقد في أواخر القرن الثاني الهجري

---

[1]- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، طبع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4،: 1404هـ-1983.ص 9.(مقدمة الكتاب).

[2]- يمظر: المصدر نفسه، ص ن.

تحدّث إحسان عباس عن قواعد النقد الأدبي في القرن الثاني الهجري حيث أن النقد قضى وقتاً من الزمن ظل يسير في اتجاهات مُحدّدة ثمّ أخذ بالتطوُّر شيئاً فشيئاً حتى تبلورت له قواعد أساسية، وهي ما يأتي: مبدأ اللياقة. مبدأ الجودة المثالية. مبدأ الخضوع للعرف في النظر إلى البيت المفرد. مبدأ الرواة يستجيبون للتغيير في الشعر. مبدأ الخليل ومصطلح العروض البدوي. قانون الشمول الخاطئ. يُقتبس من هذا الباب: "وفي طليعة تلك القواعد اعتماد النقد على مبدأ اللياقة فالشماخ معيب حين يقول مخاطباً ناقته: إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين لأنّ قوله (اشرقي بدوم الوتين) اسوأ مُكافأة لها على ما قدمته له من معروف".

المحاولات النقدية في القرن الثالث

تحدّث المُؤلف في هذا الباب حول أنّ النقد الأدبي لم يُؤلّف فيه كتاب خاص في القرن الثالث الهجري لكن برزت شخصيات كبرى في علم النقد مثل أبو العباس بن محمد المشهور بابن شرشير الذي كان شاعراً ومُتكلماً ومُتخصصاً في النحو والعروض كذلك. يُقتبس من هذا الباب: "عاش فترة من حياته في بغداد ثم هاجر إلى مصر وتوفي فيها وما كنّا نعلم أنّ له مُشاركة في النقد لولا أنّ أبا حيان التوحيدي وصفه في كتاب البصائر والذخائر بالتفوق في هذا المضمار".

الاتجاهات النقدية في القرن الرابع

تحدّث إحسان عباس في هذا الباب حول تطوُّر الاتجاهات النقدية بشكلٍ كبيرٍ في القرن الرابع الهجري على يد روّاد مركزيين وهم الشاعر أبو تمام، والمتنبي وأرسطو، حيث جعل هؤلاء الثلاثة للنقد محور ومجال في الحدود النظرية والتطبيقية ممّا جعل النقاد يتعمّقوا بشكلٍ أكبر في دراسة العلاقة بين النظرية والتطبيق ممّا نتج عنه إخراج شخصية مُتميّزة للنقد. يُقتبس من هذا الباب: "إن المبادئ النقدية التي استخدمت في دراسة الإعجاز القرآني على يد جماعة من غير النقاد فيهم الخطابي والرماني والباقلاني وذلك مجال آخر حقيق بالدرس والنظر".

النقد في القرن الخامس الهجري

تحدّث إحسان عباس في هذا الباب حول التحوّلات في الأساليب الشعرية حيث أصبح هنالك توصيات بأن يكون الشعر أكثر سهولة وسطحية ليكون قريباً للنفوس والأفهام، ممّا جعل الذوق الأدبي يُشهد تغيُّرات واختلافات تطوّرت حتّى أصبحت أزمة كان رائدها المتنبي وعملت على التأثير بخصائص الشعر. يُقتبس من هذا الباب: "وكان المتنبي نفسه هو سر تلك الأزمة: فقد

كان المُنتظر حسب طبيعة الأشياء أن يكون شعراء القرن الرابع أو المُتميّزون منهم هم مِحور النقد الذي سيدور في القرن الخامس".

النقد في القرنين السادس والسابع

تحدّث إحسان عباس في هذا الباب حول شيوع الإنتاجات الأدبية على الأساس الجغرافي والوصول لمرحلة بات يُخشى فيها على الأدب والشعر والنقد من الضياع، وذلك بسبب خفوت ألق الشعر والإقبال عليه وانصراف الكُتاب والناس نحو فنون الزجل. يُقتبس من هذا الباب: "وسلك المؤرخون للأدب في تواليفهم إحدى طريقتين: فإمّا ساروا على طريقة الثعالبي في تأليف موسوعي يضم أشهر شعراء كلّ إقليم وأدبائه كما فعل العماد الأصفهاني في الخريدة".

نماذج من الكتاب

وقريب من هذه القاعدة قاعدة أخرى نشأت عن ملاحظة الجودة المثالية في الشيء الموصوف فالشاعر قد يصف فَرَسه بأنّ شعره مسترسل على جبينه وكذلك هو في واقع حاله، فيُعاب بهذا الوصف لأنّ العرب اتفقت على أنّ الفَرَس الجيّد لا يكون شعره كذلك".

"فالناشئ يقول في تعريف الشعر ووصفه: "الشعر قيد الكلام وعقال الأدب وسور البلاغة ومحلّ البراعة ومجال الجنان ومسرح البيام وذريعة المُتوسل ووسيلة المُترسل وذمام الغريب وحرمة الأديب".

"وقد استعمل النقد في هذه المجالات جميع الوسائل التي ورثها من العصر السابق وممّا قبله من عصور ولم يطرح منها إلا ما كانت تفرضه مُناسبة دون أخرى."

آراء النقاد فيه

المحاضرة الثامنةكتب عنه الشاعر الفلسطيني أحمد دحبور في مجلة رؤية:

"أن تقف أمام تاريخ شاسع بسعة تسعين كتاباً وحجم د. إحسان عباس، يعني أنك أشبه بمن يغرف الفضاء بالملعقة. وتزداد صعوبة المهمة أمام جلال الغياب. فبعد ثلاثة وثمانين عاماً من العطاء والاشتباك الحميم مع الحياة، يكون من حق الجميع أن يشهدوا ويتذكروا ويكتبوا حتى لتتشابه الصفحات فلا ترفع الأقلام ولا تجف الصحف .. بل هل من مزيد؟"